Al-Kitab Journal for Human Sciences Vol.6, No.9-2023
http:// doi:www.doi.org/10.32441/kjhs,6.9.7

Al-Kitab Journal for Human Sciences (KJHS)
Scientific Biannual Refereed Journal
P-ISSN2617-460, E-ISSN (online)
https://isnra.net/index.php/KJHS/about/editorialTeam

The concept of faith and its impact on evaluating human behavior

Nahedh Adnan Ahmed Al- Obaidi

Kirkuk Education Directorate, Al-Nidal Secondary School for Boys, Kirkuk-Iraq

ARTICLE INFORMATION

Received: 17 Nov,2022

Accepted: 25 Feb, 2023

Available online: 1 August, 2023

PP: 129 - 144

© THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

https://creativecommons.org/license/by/4.0

Corresponding author
Nahedh Adnan Ahmed Al- Obaidi

Kirkuk Education Directorate - Al-Nidal Secondary School for Boys

Email: nahedhalobaidi@gmail.com

Abstract

The story of faith is a great story with which happiness revolves, existence and non-existence, and faith is security, tranquility, and belief, and its proofs are definitive and unquestionable. The innovator and the created point to the Creator, and the laws of creation from the atom to the galaxy, indicate the ability and mastery of its creator, but some ride the waves of the miscreants, so he turns away from what he created for him, and searches far from the limits of his ability, so he struggles with the unseen with his mind, causing himself distress and embarrassment as if he ascended to heaven, then claim He is one of the most thoughtful people and the most prudent of creation, and he runs in a vicious circle that does not reach a goal, nor does he rest in peace. The paths stumbled in him. As for the believer, whose faith evidences converged, he took the right path and the straight path, for he is the wisest of the sons of Adam in mind and the most powerful of them with evidence and authority. He knows good and indicates it, and forbids evil.

Keywords: instinct, revelation, intellect, science, proof.

مفهوم الايمان وأثره في تقويم سلوك الانسان

ناهض عدنان احمد العبيدي

مديرية تربية كركوك، ثانوية النضال للبنين، كركوك- العراق

مجلة الكتاب للعلوم الإنسانية
KJHS

مجلة علمية، نصف سنوية
مفتوحة الوصول، محكمة

تاريخ تسلم البحث: 2023/4/2
تاريخ قبول النشر:18 /2023/4
تاريخ النشر: 2023/8/1

المجلد :(6)
العدد: (9) لسنة 2023م
جامعة الكتاب – كركوك – العراق

تحتفظ (TANRA) بحقوق الطبع والنشر للمقالات المنشورة، والتي يتم إصدارها بموجب ترخيص (Creative Commons Attribution) (CC-BY-4.0) الذي يتيح الاستخدام، والتوزيع والاستنساخ غير المقيد وتوزيع للمقالة في أي وسيط نقل، بشرط اقتباس العمل الأصلي بشكل صحيح.

الاقتباس:
ناهض عدنان احمد العبيدي
" مفهوم الايمان وأثره في تقويم سلوك الانسان" مجلة الكتاب للعلوم الإنسانية

https://doi.org/
P-ISSN:1609-591X
E-ISSN: -X
kjhs@uoalkitab.edu.iq

المستخلص

ان قصةَ الايمانِ قصةٌ عظيمةٌ تدورُ معها السعادةُ وجودا وعدما، والايمانُ امنٌ وطمأنينةٌ وتصديقٌ، وبراهينهُ قطعيةٌ لا مراء فيها، فالإنسان تخبرهُ فطرتهُ بوجودِ خالقٍ عظيمٍ وراءَ هذا الكونِ، يدبرُ امورَ الناسِ ويرزقُهم ويحفظُهم، والفكرُ الصحيحُ تُخبرُ ادلتُهُ بأن هناكَ حكيما قديرا، فالحادثُ يدلُ على المحدثِ، والمخلوقُ يدلُ على الخالقِ واحكامُ الخلقِ من الذرةِ الى المجرةِ، تدلُ على قدرةِ واتقانِ موجدِها، لكن البعضَ يركبُ امواجَ القاسطينَ، فينصرفُ عما خُلقَ لهُ، ويبحثُ بعيدا عن حدودِ قدرتهِ، فيقارعُ الغيبَ بعقلهِ ويجلبُ لنفسهِ الضيقَ والحرجَ كأنهُ يصعدُ في السماءِ، ثم يزعمُ انهُ من اشدِ الناسِ تفكرا واعظمُ الخلقِ تعقلا، وهو يجري في حلقةٍ مفرغةٍ لا يصلُ الى هدفٍ، ولا يرتاحُ لهُ بالٌ، معيشتهُ ضنكةٌ، قدْ تجنى على عقلهِ وايمانهِ، الا من ابتليَ بذلكَ بسببِ كثرةِ مطالعةِ افكارِ من شطتْ اقلامُهُم، وانحرفَتْ احلامُهم، فاللهُ اقبلُ للعذرِ لمن تعثرتْ بهِ السبلُ، اما المؤمنُ الذي تظافرتْ البراهينُ على ايمانهِ، فسلكَ الطريقَ القويمَ، والصراطَ المستقيمَ فهو احكمُ بني ادمَ عقلا واظهرُهم دليلا وسلطانا، يعرفُ الخيرَ ويدلُ عليهِ، وينهى عن الشرِ، لا يؤذي احدا ابدا فحياتهُ اجملُ حياةٍ.

الكلمات المفتاحية: الفطرةُ، الوحيُ، العقلُ، العلمُ، البرهانُ .

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على الهادي البشيرِ نبينا وحبيبِنا محمدٍ وعلى الهِ وصحبهِ وبعدُ.

فلا يخلو الانسانُ من ان يسألَ نفسَهُ: لماذا وجِدْنا على هذهِ الارضِ؟ ومن الذي اوجدَنا؟ والى اينَ تسيرُ بنا قافلةُ الايامِ والسنينَ؟ وهل هنالكَ حياةٌ بعدَ الموتِ؟ الى غيرِ ذلكَ من الاسئلةِ عن الوجودِ والحياةِ، وهذا البحثُ والموسومُ (مفهومُ الايمانِ واثرهُ في تقويمِ سلوكِ الانسانِ) يتناولُ قضيةَ الايمانِ بالغيبِ وكيفيةَ الاستفادةِ من الادلةِ العقليةِ والعلميةِ لمن امنَ بوحي السماءِ وان ادلةَ العقلِ واركانَ العلمِ تصبُ في خدمةِ الايمانِ إذا وظفَت بشكلٍ صحيحٍ لا ان يتعداها بحجةِ التعقلِ واتهامِ غيرهِ بقصورِ الفكرِ فان هذا ليسَ من الانصافِ في شيء. بل الايمانُ فطري ولهذا تميلُ المجتمعاتُ الى التعبدِ وعلى مدارِ التاريخِ سواء بطريقةٍ صحيحةٍ ام خاطئةٍ فتأتي القضايا الفكريةُ والعلميةُ، التي ايدها وحيُ السماءِ ودعا اليها وحثَ على الاستدلالِ بها فتجتمعُ كلُ تلكَ الامورِ: الفطرةُ والوحيُ والمنطقُ الصحيحُ والشواهدُ العلميةُ الصحيحةُ لتؤكدَ على حقيقةِ الايمانِ بما لا يدعُ مجالا للشكِ والترددِ الذي يقتلُ صاحبَه لأنه جانبَ سبيلَ المؤمنينَ، ولقد اقتضى المقامُ ان يقسمَ بحثُنا هذا على اربعةِ مباحثَ:

المبحثُ الاولُ: تعريفُ الايمانِ في اللغةِ والاصطلاحِ.

المبحثُ الثانيُ: هلِ الايمانُ فطريٌ؟

المبحثُ الثالثُ: العقلُ والعلمُ في خدمةِ الايمانِ، وفيهِ مطلبانِ:

المطلبُ الاولُ: الايمانُ والعقلُ.

المطلبُ الثاني: الايمانُ والعلمُ.

المبحثُ الرابعُ: الايمانُ طمأنينةٌ.

ثمَ الخلاصةُ. واهمُ المصادرِ والمراجعِ. ثم هو جهدُ مَن قلتْ بضاعتُه من العلمِ لكنها محاولةَ النفعِ واللهُ من وراءِ القصدِ.

المبحث الاول

تعريف الايمان في اللغةِ والاصطلاح

للكتابةِ عن موضوعٍ ما، لا بدَ من تعريفهِ في لغةِ العربِ وفي اصطلاحِ العلماءِ، فإنَّ الموضوعَ اذا لمْ يتضحْ حدَهُ لا يمكنْ أنَّ نعطيهِ حقهُ وعليهِ سنتطرقُ الى تعريفِ (الايمانِ) لغةً واصطلاحاً

وذلكَ في نقطتينِ وكما يلي:

اولاً: تعريف الايمان في اللغة

الايمانُ مصدرٌ اصلهُ: امنَ يؤمنُ فهو مؤمن واصلُ الايمانِ في اللغةِ: التصديقُ، قالَ تعالى:" **وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17)**" [1].

ولم يختلف اهل التفسير في ان معناها: وما انت بمصدق لنا. والايمان في اللغةِ يعطي معنى الطمأنينة والامانة اي يكون اميناً وخاشعاً اضافة الى معنى التصديق كما قال ثعلب: صفة المؤمن ان يكون راجياً ثواب الله خاشياً عقابه[2].

ونستشف مما سبق ان الايمان في الفصيحِ يعطي معنى التصديقِ والطمأنينةِ والامن والامانة والخشوع، فالمؤمن يكون مصدقاً ومطمئناً وامناً واميناً وخاشعاً.

ثانياً: تعريف الايمان اصطلاحاً

قالَ الامامُ الجرجاني في كتابهِ التعريفاتِ، في تعريفِ الايمانِ في الاصطلاحِ الشرعي، قالَ: "هو الاعتقادُ بالقلبِ والاقرارُ باللسانِ. وقيلَ: من شهدَ وعملَ ولمْ يعتقدْ فهو منافقٌ ومنْ شهدَ ولمْ يعملْ واعتقدَ فهو فاسقٌ، ومنْ اخلَ بالشهادةِ فهو كافرُ"[3].

وقالَ صاحبُ دستورَ العلماءِ، بعدَ ان تطرقَ الى موضوعِ التصديقِ :"وقالَ بعضهم ان مسمى الايمانِ هو مجموعُ التصديقِ المذكورُ والاقرارُ باللسانِ والعملُ بالأركان، فهو حنيذٌ مركبٌ من ثلاثةِ امورٍ. وهذا مذهبُ جمهورِ المتكلمينَ والمحدثينَ والفقهاءِ"[4].

ويؤيدُ ذلكَ، اي ان الايمانَ قولٌ وعملٌ ونيةٌ ما ذكرهُ القاسمُ بن سلام: وهو من العلماءِ المتقدمينَ، وحقهُ التقديمُ لكن جعلتهُ شاهداً على ما ذكرتُ، ذكرَ هذا القولِ وايدهُ ونصرهُ حيثُ قالَ :"الايمانُ بالإخلاصِ للهِ بالقلوبِ وشهادةِ الالسنةِ، وعملُ الجوارحِ"[5].

---

(1) سورة يوسف، اية(17).

(2) ينظر محمد بن احمد بن الازهري الهروي، ابو منصور (ت 370ه) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب دار الاحياء التراث العربي _بيروت الطبعة الاولى:2001م، باب النون والميم، ج15/ص368، وابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة المرسي (ت 458ه)، المخصص، تحقيق: خليل ابراهيم جمال، دار احيا التراث العربي _بيروت الطبعة الاولى(1417ه-1996م)، باب الايمان، ج4/ص54، ومحمد بن مكرم بن علي، ابو الفاضل، جمال الدين ابن الانصاري الافريقي (ت 711ه)، لسان العرب دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة،(1414ه)، فصل الالف ج13/ص 23-24

(3) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(ت 816ه)، كتاب التعريفات تحقيق عدد من العلماء بأشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الاولى:(1403-1983م) ج 1 /ص40.

(4) القاضي عبد النبي عبد الرسول الاحمد نكري، دستور العلماء، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الاولى،(1421ه-2000م) : ج1 / ص 149.

(5)ابو عبيد القاسم بن سلام بن عبيد الله الهروي(ت 224ه)، كتاب الايمان ومعالمه وسنته واستكماله ودرجاته، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الاولى(1421ه،2000)، ج1/ص 10.

فالإيمانُ اذن: قولٌ وعملٌ واعتقادٌ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ واركانهُ ستةٌ: هي الايمانُ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الاخرِ والقدرِ خيرهِ وشرهِ المذكورةُ في حديثِ جبريلَ عليهِ السلامِ[1].

المبحث الثاني

هل الايمان فطري؟

انهُ العهدُ والميثاقُ الذي عهدُ اللهُ سبحانهُ وتعالى الى ادمَ "عليهِ السلامُ" وذريتهِ يومَ أنَّ خلقهم، فأقرهم على ربوبيتهِ ألستُ بربكم؟ قالوا بلى، فما من نسمةٍ الا وشهدتْ ذلكَ العهدَ، واقرتْ بهِ كما قالَ تعالى في كتابهِ الكريمِ: " **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172)**" [2].

حيثُ اخرجَ اللهُ سبحانهُ وتعالى ذريةَ ادمَ امثالَ الذرِ واشهدهُم ذلكَ العهدَ فاقروا وشهدوا[3].

وقدْ جاءَ في الحديثِ عن النبي "صلى اللهُ عليهِ وسلمَ" انهُ قالَ: "يقالُ للرجلِ منْ اهلِ النارِ يومَ القيامةِ أرأيتَ لو كانَ لك ما على الارضِ منْ شيءٍ اكنتَ مفتدياً بهِ؟ قالَ: فيقولُ: نعمْ فيقولُ قدْ اردتُ منكَ اهونَ منْ ذلكَ، قدْ اخذتُ عليكَ في ظهرِ ادمَ الا تشركَ بي شيئاً فأبيت إلا انْ تشركَ بي"[4]. ويؤيدُ ما ذكرنا قولَ اللهِ تعالى: " **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)**" [5].

"فاقمْ وجهَكَ للدينِ": اي اخلصْ دينكَ للهِ، والوجه: الوجهةُ التي يتوجهُ بها الانسانُ الى اللهِ تعالى، ومعنى "حنيفاً": مائلاً اليهِ مستقيماً عليهِ، "وفطرة الله": اي دينُ اللهِ، والمعنى: الزموا فطرةَ اللهِ

التي فطرَ الناسَ عليها. قالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ "رضيَ اللهُ عنهما": خلقَ الناسَ عليها، والمرادَ بالفطرةِ الدينُ وهو الاسلامُ[6].

---

(1) جزء من حديث طويل اخرجه الامام محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير محمد ناصر دار طوق النجاة، الطبعة الاولى،(1422ه): ج1/ص 19، رقم الحديث(50).

(2) سورة الاعراف، اية(172).

(3) ينظر: ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، البصري ثم الدمشقي (ت 747ه) تفسير القران العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية: (1420ه-1999م) ج3/ ص 500.

(4) محمد بن اسماعيل البخاري ،صحيح البخاري ،مصدر سابق: ج4/ص 133 رقم (3334)، ومسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري(ت 261ه)، صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي _بيروت 2160/4 رقم الحديث: (2805).

(5) سورة الروم اية (30).

(6) ينظر علاء الدين، علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيحي، ابو الحسن المعروف بالخازن،(ت 471ه)، لباب التأويل في معانى التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الاولى، (1415ه)، ج3/ص391.

وقد جاءَ في الحديثِ عنْ النبي "صلى اللهُ عليهِ وسلمَ": "ما منْ مولودٍ الا يولدُ على الفطرةِ فأبواهُ يهودانهِ ويِنصرانهِ ويمجسانهِ، كما تنتجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء هلْ تحسونَ فيها من جدعاءَ"[1].

والمعنى ان الانسانَ خلقَ وجبلَ على المعرفةِ والايمانِ، والاقرارِ بربوبيةِ اللهِ سبحانهُ، فتجدهُ يميلُ الى الاسلامِ دونَ غيرهِ ويستحسنهُ ويقبحُ غيرهُ من عبادةِ المخلوقاتِ[2].

وإذا نظرنا الى المجتمعاتِ البشريةِ منذُ ان دبتْ اقدامُها على هذهِ الارضِ والى يومِنا هذا لا نكادُ نجدُ مجتمعاً منها الا ولهُ عبادةٌ معينةٌ، فأما ان يتفقَ نورُ الفطرةِ معَ نورِ الوحي وهؤلاءِ همْ الرسلُ واتباعُهم، ودينُهم نورٌ على نورٍ، واما غيرهُم فالبعضُ يعبدُ الحجارةَ ويتوسلُ اليها انْ تحفظَهُ وترزقهُ الاموالَ.

والاولادَ، تدفعُ عنه الشرورَ كأمثال قومِ نوحٍ "عليهِ السلامُ" وهو اولُ المرسلينَ الى اهلِ الارضِ، حيثُ حكى اللهُ تعالى عن مخالفيهِ انهم قالوا: **"وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23)** "[3]. وقومِ عادٍ قالوا لنبيهم هودٍ "عليهِ السلامُ"

ما قصَ القرآنُ:**"إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54)** "[4].

وفي زمنِ الخليلِ "عليهِ السلامُ" كانَ الناسُ يعبدون الحجارةَ فقالَ لهمْ ابراهيمُ "عليهِ الصلاةُ والسلامُ": **"إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52)** "[5].

وكذا منْ جاءَ بعدهمْ الى عصرِنا هذا منهمْ منْ يعبدُ الحجَر ومنهم من يقدسُ الشجرَ ومنهم منْ يعكفُ على الفارِ او الارضِ، وليسَ الغرضُ انْ نعددَ الدياناتِ في العالمِ، ولكنْ للندللَ على الدافعِ الفطري الذي يدفعُ الانسانَ الى العبوديةِ والالتجاءِ الى قوةٍ تحميهِ وتحفظهُ وتدافعُ عنهُ، ليطمئنَ على واقعهِ ومستقبلهِ لانهُ يشعرُ بالضعفِ لوحدهِ ويشعرُ بالحاجةِ الملحةِ الى قوةٍ خارجيةٍ تكونُ له سنداً ومعيناً فاذا كانَ على اولِ خلقتهِ فانهُ يعرفُ منْ يقومُ بذلكَ كلهِ انهُ اللهُ الذي وسعَ كلَ شيءٍ علماً وقدرةً واحاطةً لا يغفلُ ،ولا ينامُ، ولا يعجزهُ شيٌء في الارضِ ولافي السماءِ[6].

(1) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مصدر سابق:2047/4، رقم (2658).
(2) ينظر ابو الوليد سلمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث ،التجيبي ،القرطبي الباجي ،الاندلسي، (ت 474ه)، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، الطبعة الاولى:(1332ه): 23/2، وزين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي،(ت 795ه)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: محمد الاحمدي ابي النور الطبعة الاولى: (1442ه-2004)، 663/2.
(3) سورة نوح (اية 23).
(4) سورة هود (اية 54).
(5)سورة الانباء (اية 52).
(6) ينظر: مصطفى الرافعي، الاسلام دين المدنية القادمة، مكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، (1410ه-1990م): ص6.

واما اذا حُرفتْ فطرتهُ وحولتْ جبلتهُ فانهُ يذهبُ في كلِ وادٍ ويستمعُ لكلِ منادٍ وتبقى اصولهُ تنازعهُ ليردَ الى اصلِ خلقتهِ ويبقى ينازعُ تلكَ الاصولَ فأما ان يعودَ فيسعد او يتمادى فيشقى.

المبحث الثالث

العقل والعلم في خدمة الايمان

شاءت قدرةُ اللهِ انْ يكلفَنا الايمانَ بالغيبِ وجعلَ سبحانهُ اساسَ ذلكَ الوحيَ واداتَه العقلَ والعلمَ لذا كان هذا المبحثُ على مطلبينِ وكما يلي:

المطلب الاول: الايمان والعقل.

للعقلِ أُسسٌ ومفاهيمُ يتفقُ عليها العقلاءُ جميعاً، والسؤالُ عنْ المؤمنِ: اهو عقلانيٌ منطقيٌ، ام لديهِ اضطراباتٌ فكريةٌ متناقضةٌ؟ وإذا كانَ عقلانياً منطقياً أيستطيعُ انْ يفسرَ كلَ ما يحدثُ في هذا الكونِ الفسيحِ؟ أمؤمنٌ هو بالاستدلالِ واستقراءِ الخلقِ أم ان ربقةَ التقليدِ قدْ حبستهُ؟ وللإجابة عما اوردنا من تسائلاتٍ، لابدَ من القولِ انهُ لو جاءنا رجلانِ فقالَ احدُهما: ان هذهِ الموجوداتِ تحتاجُ في اصلِ خلقتها الى خالقٍ يرجحُ وجودَها من العدمِ الى الوجودِ وهذه الحاجةُ واجبةٌ ولا شكَ فيها، لان مجردَ وجودِها يحتاجُ الى موجدٍ فكيفَ وقدْ وجدتْ منظمةً مرتبةً في غايةِ الروعةِ والجمالِ. وقالَ الثاني: ان الكونَ لا يحتاجُ الى موجدٍ وخالقٍ بل يمكنُ عقلاً ان يوجدَ منْ تلقاءِ نفسهِ ويكونَ بهذا الاتساقِ وهذا الانتظامِ لرجحتْ عقولُنا قولَ الاولِ وصدقتْ بهِ منْ غيرِ ان تسألهُ عنْ برهانٍ او دليلٍ.

ولمجتِ العقولُ السليمةُ قولَ الثاني ورفضتهُ لأنهُ يخالفُ العقلَ بلْ ويبطلُ عملهُ، فاذا ما تحركَ شيءٌ من مكانهِ كأن يكونُ كتاباً مثلاً فأننا نتسائلُ عن السببِ الذي حركهُ، كيفَ والكونُ كلهُ في حركةٍ مستمرةٍ في نظامٍ محكمٍ في غايةِ الاحكامِ؟ ولنا ان نتذكرَ هنا قولَ الاعرابي الذي لم يدرسْ في جامعةٍ ولم يتعلمْ علومَ المنطقِ حيثُ قالَ: البعرةُ تدلُ على البعيرِ، والاثرُ يدلُ على المسيرِ، فسماءٌ ذاتُ ابراجٍ وارضٌ ذاتُ فجاجٍ وبحارٌ ذاتُ امواجٍ، الا تدلُ على اللطيفِ الخبيرِ؟ [1].

كيفَ وقدْ دلل اللهُ تعالى على ذاتهِ العليةِ واقامَ حجتهُ على خلقهِ سبحانه بأرسالِ الرسلِ وانزالِ الكتبِ وختمَ الرسلَ "بحمد بن عبد الله" "صلى الله عليه وسلم" وختمَ الكتب السماويةَ بالقرآنِ العظيمِ "المعجزةِ الخالدةِ" الذي تضمنَ الكتبَ السماويةَ التي سبقتهُ وزيادةً، قالَ تعالى:"**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** "[2].

(1) ينظر سعيد علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة الى الله، وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى، (1423ه): 354/1

(2) سورة المائدة، (اية48).

وذلك هوَ الايمانُ الذي امرنا بهِ، وانما هو كنبتةٍ في اولِ امرها، سرعانَ ما تنمو بالعملِ والنظرِ في آيات اللهِ الشرعيةِ والكونيةِ، حتى اذا صارتْ شجرةً عظيمةً اصلها ثابتٌ في الارضِ وفروعها عاليةٌ تؤتي بالثمارِ اليانعةِ والمناظرِ المزهرةِ الرائعةِ، وكذلكَ يكونُ حالُ المؤمنينَ الذين تدبرواْ وتعقلواْ فرسخَ الايمانُ في قلوبهم، ومدحهمُ اللهُ تعالى بقولهِ:" **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15)**" [(1)].

ثمَ بعدَ الايمانِ والتسليمِ ينظرُ بحدودِ امكانياتهِ العقليةِ ليطلعَ على ما اودعهُ اللهُ في خلقهِ من اسرارٍ، ولمتأملٍ ان يتحدثَ عن القرآنِ العظيمِ اولاً ثم يشيرُ الى ما دعا اليهِ ذلكم الكتابُ المعجزةُ من التدبرِ والتعقلِ فالقرآنُ يتألفُ من الحروفِ العربيةِ المعروفةِ، ورغمَ ذلك فقدْ تحدى الانسَ والجنَ في ان يأتوا بمثلِ القرآنِ فلمْ يستطيعواْ. قالَ تعالى:"" **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)** "[(2)].

ثمَ تحداهم في اقلَ من ذلك قالَ سبحانهُ:" **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13)**" [(3)].

ثم تحداهم في ان يأتواْ بسورةٍ كما قال جل وعلا:" **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)** [(4)].

فعجزواْ واستسلمواْ، والتحدي قائمٌ والحروفُ موجودةٌ معروفةٌ وهم عاجزونَ مذعنونَ الا يدعو ذلك عقلاً الى التسليمِ والانقيادِ [(5)]. لمن انزلَ ذلك الكتابَ الذي هو كتابُ اللهِ المسطورُ، والكونُ كتابُ اللهِ المنظورُ وبينهما ترابطٌ وتناسقٌ ويدعو أحدهما الى الاخرِ، وقدْ اجريتُ بحثاً على الالةِ الحاسبةِ فوجدتُ ان" القرآنَ الكريمُ" ذكرَ كلمةَ "يعقلون" "22" اثنتينِ وعشرينَ مرةً. وكلمةَ "يعلمون" "89" تسعاً وثمانينَ مرةً. و"يبصرون" 13 ثلاثَ عشرةَ مرةً.

هذا فضلاً عما ذكرهُ اللهُ سبحانهُ من الدعوةِ الى التدبرِ والتعقلِ والنظرِ كما قالَ سبحانهُ:" **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101)**" [(6)]، وذكرَ جلَ شأنهُ ان عدمَ التعقلِ مدعاةٌ الى الرجسِ المعنوي والتيهِ كما جاءَ في الآية: " **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**

(1) سورة الحجرات، (اية 15).
(2) سورة الاسراء، (اية 88).
(3) سورة هود،(اية 13).
(4) سورة البقرة، (اية 23).
(5) ينظر: ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، المعروف بالقاضي عياض(ت 544ه)،الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تقديم وتحقيق: عامر الجزار، دار الحديث- القاهرة(1425ه-2004م): 176.
(6) سورة يونس (اية 101).

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) "[1]، وفي سورةِ يونسَ: " **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (100)**"[2]، مما يدلُ على أنّ التفكيرَ السليمَ يقودُ الى الايمانِ القويمِ، ومن اعظمِ الآيات التي مد حتِ العقولَ المتدبرةَ قولُ الباري:" **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)**" [3]، ويرى المتبصرُ في القرآنِ من الاعجازِ في الخلقِ والتكوينِ ما يقودُ الانسانَ الى الايمانِ يقولُ اللهُ عظمَ سلطانهُ: "**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)** " [4]، وقالَ اللهُ جلّ وعلا:" **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)**" [5]، واياتٌ قرآنيةٌ اخرى كثيرةٌ تدعو الى التأملِ في ملكوتِ السماواتِ والارضِ من النجومِ والجبالِ والشجرِ والدوابِّ والانهارِ والثمارِ وغيرها مما لا يعدُ وهو بالمجموعِ يدلُ على وحدانيةِ من اوجدهُ وكمالهِ ومعرفةِ بعضِ صفاتهِ فنرى في الوجودِ علمَ اللهِ المحيطَ وقدرتَهُ وأرادتَهُ وحكمتَهُ ورحمتَهَ ولطفَهُ الى غيرِ ذلكَ.

من صفاتِ الكمالِ والجلالِ والجمالِ التي لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوهِ[6]، وهي بمجموعها براهينٌ عقليةٌ رصينةٌ لو احتكمنا فيها الى العقلِ الصريحِ لاخبرَنا بأنَّ التكذيبَ بِها كالتكذيبِ بمعادلةٍ رياضيةٍ براهينُها بينةٌ، وكذلك يدلُ ما ذكرنا على أنَّ التفكيرَ الصحيحَ يخدمُ الايمانَ وأنَّ المؤمنَ يوفي العقلَ حقهُ لكن بحدودِ امكانياتهِ وطاقتهِ، فلا يتعدى ذلكَ حتى لا يذهبَ الى الظنونِ والاوهامِ والرجمِ بالغيبِ ويستوي في ذلك راعي الابلِ ورائدُ الفضاءِ والعالمُ الكبيرُ كلٌ بحسبِ حالهِ فالبسيطُ منهم ينظرُ الى الادلةِ مجملةً وهي في الوقتِ نفسهِ محكمةٌ والعالمُ يدركُها مبسوطةً مفصلةً[7]، ثم يشيرُ الباحثُ الى امورٍ يرى انها مهمةٌ:

1-عدمُ الاغترارِ بمن الّهَ العقولَ ورفعها فوقَ مستواها وهذا ليسَ من بابِ انتقاصها او الطعنِ فيها، بلْ لمعرفةِ أنّ لها حدوداً لا تتعداها حالها حالُ السمعِ والبصرِ والقوةِ الجسمانيةِ فالملاحدةُ اطلقواْ كلمةَ حقٍ وارادواْ بها

(1) سورة الانعام (اية 125).
(2) سورة يونس (اية 100)
(3) سورة ال عمران (اية 190-191).
(4) سورة المؤمنون (اية 12-14).
(5) سورة الانبياء (اية 30).
(6) ينظر: سعيد بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة الى الله، مصدر سابق: ص/355.
(7) ينظر: نديم الجسر، قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، دار العربية- بيروت- لبنان، الطبعة الاولى(1961م) والثانية(1963م) والثالثة(1969م)، ص/217.

باطلاً عظيماً حيثُ قالواْ: انّنا لم نرَ الموجدَ في الماديات "وهذه مقدمةٌ باطلةٌ فمنِ الذي اخبرهم انهُ يجبُ أنّ يكونَ في المادةِ او بعضاً منها بلْ هو اجلُ واعظمُ فقالَ عن نفسهِ:" **فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)** " [(1)]، فلبسواْ على عقولِ الناسِ"، وقادتهم تلكَ المقدمةُ الفاسدةُ الى انكارِ من اوجدهم ، معَ انهم لم يخلقواْ شيئاً بلْ يكتشفونَ ما خلقَ اللهُ لا غيرَ[(2)].

2- عدمُ الاحتكاكِ بين العقلِ والامورِ الغيبيةِ لأنّ ذلك يضعفُ العقلَ بلْ قدْ يذهبُ بهِ بالكليةِ ولنا اعظمُ عبرةٍ في قصةِ سيدنا موسى" عليهِ السلامُ" حينَ سألَ ربهُ الرؤيةَ والتي جاءتْ في الاية: **"وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" (143)**
"[(3)]، قالَ بعضُ اهلِ التفسيرِ: قالَ اللهُ تعالى لموسى "عليهِ السلامُ": لن تراني، وليسَ لبشرٍ ان يراني في الدنيا ومنْ نظرَ اليَّ في الدنيا ماتَ، وأنى لنبي اللهِ موسى ان ينظرَ الى اللهِ فالجبلُ الذي هو اقوى في التحملِ لما تجلى لهُ الربُ دكَّ في الارضِ [(4)].

كذلك العقولُ لا تتحملُ ان تنظرَ الى الغيبِ بلْ تؤمنُ بهِ بالشواهدِ وقدْ مدحَ اللهُ المؤمنينَ بالغيبِ.

3- جعلُ الايمانِ باللهِ وبما ارادَ وبمنْ ارسلَ قاعدةً حصيفةً لا يعتريها ريبٌ ثم ينظرُ بعدَ ذلكَ في الدلائلِ والموجوداتِ على سبيلِ زيادةِ الايمانِ وطمأنينةِ القلبِ لا لجلبِ الايمانِ لأنّ من شكَ في حججِ اللهِ تباركَ وتعالى شكَّ في كلِ شيءٍ ولا يستطيعُ ولن يستطيعَ ان ينتقلَ من الدليلِ الى المدلولِ ومن الشاهدِ الى معرفةِ الغيبِ، ويكونُ حالهُ حالَ من طرقَ عليهِ البابُ فيبقى يتفكرُ في الطارقِ من يكون؟ وكيفَ حالهُ؟ ولماذا جاءَ؟ وكيفَ وصفهُ؟ ويبقى يتسألُ حتى ينصرفَ الطارقُ،

والامرُ اخطرُ واكبرُ لانَّ مسألةَ الايمانِ لا توجدُ مسألةٌ بحجمِها فهيَ اساسُ دخولِ الجنةِ ومجانبتُها تصرفُ صاحبَها الى النارِ[(5)].

(1) سورة الشورى(اية 11).
(2) ينظر: نديم الجسر، قصة الايمان، مصدر سابق: ص/208.
(3) سورة الاعراف(اية 143).
(4) ينظر ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي،(ت 510ه)، تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الاولى(1420ه): 228/2، وابو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت 597ه) زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي-بيروت الطبعة الاولى،(1422ه): 152/2.
(5) ينظر: تامر محمد محمود متولي، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة دار ماجد عسيري، الطبعة الاولى:(1425ه-2004م): 684/1.

المطلب الثاني: الايمان والعلم

لقدْ كانَ الكلامُ في المطلبِ الاولِ من هذا البحثِ عن الايمانِ والعقلِ وانَّ الدلائلَ العقليةَ تلزمُ باتباعِ الانبياءِ والرسلِ اولاً، ثم النظرِ في شواهدِ الخلقِ بعدَ ذلكَ وأنَّ القرآنَ المعجزَ قدْ حثَّنا الى التدبرِ في كثيرٍ من آياته التي تدهشُ العقولَ، والآنَ ننظرُ بشيءٍ من التفصيلِ في بعضِ ما ذكرَ اللهُ، ولنبدأ بخلقِ الانسانِ فأصلُ خلقتهِ الماءُ المهينِ والذي هو عبارةٌ عن الحيوانِ المنوي المذكرِ وهو صغيرٌ جداً، فطولهُ عبارةٌ عن"60" جزءًا من الفِ جزءٍ من الملمترِ، يسبحُ بسرعةٍ هائلةٍ في السائلِ المنوي الذي يقذفُ بهِ وسباحتهُ تكونُ في حركةٍ لولبيةٍ حتى تؤتى السرعةُ المطلوبةُ وجوهرُ هذا الحيوانِ في رأسهِ لا في ذنبهِ، ولذلك جُعلَ لهُ رأسٌ مكوزٌ وجُعلَ برأسهِ عنقاً لولبي، اما عدد الحيواناتِ المنويةِ فيربو على "200" مليون ولكنهُ لا يصلُ الى البويضةِ الا ما كان اقواها واسرعها، حتى يتمكنَ من اختراقِ البابِ الخاصِ الذي يوصلهُ الى البويضةِ ويسمى بابُ الجاذبيةِ، فعندما يدخلُ الحيوانُ المنوي ينغلقُ البابُ، وتنقطعُ الجاذبيةُ وبذلك تموتُ جميعُ الحيواناتِ الاخرى، وبويضةُ الانثى التي تشبهُ بيضةَ الدجاجةِ ولكنها اصغرُ بكثيرٍ حيثُ ان وزنها جزءً من مليونِ جزءٍ من الغرامِ وتتكونُ في ظلمةِ المبيضِ ثم تخرجُ عبرَ طريقٍ ضيقٍ قطرهُ قطرُ شعرةٍ والذي يسمى فمُ البوقِ ثم تلتقي بالحيوانِ المنوي الذكري او يلتقي بها ويعملُ الشريكانِ في بناءِ الانسانِ الجديدِ وهذا الخليطُ من المائينِ هو الامشاجُ الذي ذكرهُ خالقُ البشرِ: " **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)** "[1]، ثم يمرُ بطيئاً الى الرحمِ ثم يأخذُ اطوارهُ نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً كما ذكرَ القرآنُ ثم يكونُ انساناً سوياً لا يشبهُ انساناً أخرَ فتباركَ اللهُ احسنُ الخالقينَ[2]، ثمَ إذا نظرنا الى الاشجارِ كيف تتكون من بذورٍ يابسةٍ، ثم تنمو لتعطيَ ثماراً مختلفةَ الطعمِ مع أنَّها تسقى بماءٍ واحدٍ، قال ربُنا سبحانهُ:"

وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4) " [3]، وإذا تحدثنا عن الارضِ التي نعيشُ عليها فإنَّ الحديثَ يكونُ اغربُ، فهي مهيأةٌ للإنسانِ معدةٌ لهُ على افضلِ وأتمِ وجهٍ من جهةِ جاذبيتها وتماسكِها، وتربتِها، وقابليتِها على مسكِ الماءِ وإنباتِ الزرعِ، وتوفرِ الاوكسجينِ، ومن ناحيةِ حجمها واعتدالِ مسافتِها من الشمسِ، يقولُ العلماءُ-افتراضاً-أنَّهُ لو كانَ حجمُ الارضِ اكبرَ أو اصغرَ أو أنَّ ثقلَها وكثافتَها اقلُ او اكثرُ، او كانتْ اقربَ الى الشمسِ أو ابعدَ لاختلَ امرُ الحياةِ أو تغيرَ وتشوهَ لأنَّ حجمَها متناسبٌ معَ سرعتِها ودورتِها، وكذا معَ ثقلِها وقوةِ جذبِها، فلو قلَ جذبُها لأفلتَ الاوكسجينُ منها، ولولا الدورةُ اليوميةُ لما كانَ

(1) سورة الانسان(اية 2).
(2) ينظر: حاتم ناصر الشرباتي، موسوعة الخلق والنشوء، الطبعة الثانية، المنصور مكتبة الايمان،(2006م): ص282-285.
(3) سورة الرعد (اية 4).

هناك ليلٌ ونهارٌ دائبينِ ثابتينِ، ولو زادتْ سرعةُ دورانِها حولَ نفسِها عن الفِ ميلٍ في الساعةِ أو انها قلتْ كما هو الحالُ في بقيةِ السياراتِ لفسدتِ الحياةُ، لكنَ سرعتَها ثابتةٌ منذُ أنْ خلقَها اللهُ الحكيمُ الخبيرُ، وفرضَ عليها قوانينَها، ولو قلتِ الجاذبيةُ التي تربطُنا بالأرض لطرْنا عن ظهرِها بلْ لولا التعادلُ الدقيقُ بينَ الجاذبيةِ التي تلصقُنا بالأرض وقوةِ البعدِ عن المركزِ لذهبْنا نحنُ وبيوتُنا الى القطبينِ فسبحانَ الذي خلقَ وقدرَ بأتقانٍ وجعلَ الارضَ صالحةً للحياةِ[1]، قالَ اللهُ عن الارضِ : وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33)" [2]، وعلاوةً على ما ذكرنا فقدْ تناولَ القرآنُ الشمسَ وكيفيةِ حركتِها في الفضاءِ حيثُ جاءَ في سورةِ (يس) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40) "[3]، فأستعملَ كلمةَ "يسبحون" وهذا يدلُ على أنَّ لها حركةً ذاتيةً، وهذا ليسَ بالأمر الهينِ وقتَ نزولِ القرآنِ ثمَّ جاءَ العلمُ ليؤكدَ تلك الحقيقةَ تماماً كما اخبرَ القرآنُ العظيمُ قبلَ اكثرَ من اربعةَ عشَرَ قرناً[4].

فهي تسيرُ بلا تعثرٍ منذُ أنْ اوجدْها اللهُ، وهذا دليلٌ من الادلةِ العقليةِ الموجودةِ في القرآنِ المجيدِ في محاجاةِ ابراهيمَ الخليلِ للنمرودِ قالَ اللهُ سبحانهُ وتَعالى:" **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)** " [5]، وقولهُ سبحانهُ في سورةِ يونسَ: **"هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5)"** [6]، وقولهُ تَعَالى في سورةِ الاسراءِ: **"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12)** " [7]، وفي هذينِ النصينِ من كتابِ اللهِ دعوةٌ الى البحثِ العلمي في مصدرِ الضياءِ والنورِ العظيمينِ بالنسبةِ للأرض التي نعيشُ عليها، وما يترتبُ في تعاقبِها من مصالحٍ للناسِ[8]، الى غيرِ ذلكَ من الادلةِ الساطعةِ والآيات الواضحةِ التي تعاضدَ فيها نورُ الوحي معَ نورِ العلمِ فاتفقا على عظمةِ من خلقَ وابدعَ، كيفَ وكلُ مخلوقٍ في وجودهِ معجزةٌ لا ينكرُ ذلك الاّ مغررٌ بعقلهِ أو معاندٌ مكابرٌ

(1) ينظر: حاتم الشرباتي، موسوعة الخلق والنشوء، مصدر سابق، ص/292-296.
(2) سورة النازعات (الايات 30-33).
(3) سورة يس (اية 40).
(4) ينظر: غاري مللر، القرآن المذهل، ترجمة: اورخان محمد علي، دار الوفاء ،الشارقة،(بلا ط)، ص/46-47.
(5) سورة البقرة،(اية 258).
(6) سورة يونس،(اية 5).
(7) سورة الاسراء،(اية 12).
(8) ينظر: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الدمشقي(ت 1425ه)، الحضارة الاسلامية اساسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الامم، دار القلم دمشق، الطبعة الاولى(1418ه-1998م) 325/1.

يريدُ اشباعَ رغباتهِ واطلاقَ شهواتهِ حتى لا يخضعَ للذي خلقهُ وكلفهُ، فسبحانَ من هدى المؤمنِينَ لنورهِ ودلهم عليهِ بشرعهِ وخلقهِ.

المبحث الرابع

الايمان طمأنينة

إنَّ من رحمةِ اللهِ بِنا أنَّهُ لمْ يكلفْنا ما لا نطيقُ، ولمْ يأمرْنا بالبحثِ عن كيفيةِ الغيبِ، بلْ أمرَنا بالأيمانِ بالغيبِ، ومن لطفهِ أنَّهُ لا يحاسبُنا عن الهواجسِ والوساوسِ الطارئةِ، وقدْ جاءِ في حديثِ النبيِ"صلى اللهُ عليهِ وسلمَ": "إنَّ اللهَ تجاوزَ لي عن أمتي ما وسوستْ بهِ صدورُها، ما لمْ تعملْ أو تكلمْ"[1]، وهذهِ من اعظمِ دواعي الأطمئنانِ عندَ المسلمِ أنَّهُ يرى لطفَ اللهِ بخلقهِ ويعلمُ يقيناً أنَّ اللهَ قضى قضاءً أنْ لا طمأنينةَ الا بهِ، فنفسُ الانسانِ تدورُ بينَ ثلاثِ صفاتٍ: فإما أنْ تكونَ امارةً بالسوءِ وهي المشارُ اليها في الاية: " **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)** "[2]، وإما أنْ تكونَ لوامةً وهي المذكورةُ في النصِ القرآني: " **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)** " [3]، والثالثةُ: النفسُ المطمئِنةُ المذكورةُ في قولِ مولانا جلَّ في علاهُ: " **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)**" [4]، فمطمئنةٌ باعتبارِ طمأنينَتِها الى ربِها بعبوديتهِ ومحبتهِ والانابةِ اليهِ والتوكلِ عليهِ والرضى بهِ والسكونِ اليهِ فإنَّ سمتَ محبتهِ وخوفهِ ورجائهِ قطعُ النظرِ عمن سواهُ فيستغني بمحبةِ اللهِ عن حبِ ما سواهُ، وبذكرهِ عن ذكرِ ما سواهُ، والشوقِ اليهِ والى لقائهِ عن الشوقِ الى ما سواهُ، فهيَ حقيقيةٌ تردُ من اللهِ على قلبِ عبدهِ فتجمعهُ عليهِ وتردَ قلبهُ الشاردَ اليهِ فتسري تلك الطمأنينةُ في نفسهِ، وقلبهِ، ومفاصلهِ وقواهُ الظاهرةِ والباطنةِ، ولا يمكنُ حصولُ الراحةِ الحقيقيةِ الا باللهِ قالَ اللهُ في كتابهِ: "**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)** " [5]، فيطمئنُ القلبُ ويسكنُ بزوالِ القلقِ والانزعاجِ، وهذا لا يتأتى بشيءٍ سوى اللهِ وذكرهِ البتَّة[6].

فإذا رسخَ الايمانُ في قلبِ صاحبهِ رسوخَ الجبالِ، وعلمَ يقيناً أنَّ الملكَ المطلقَ للهِ، وأنَّهُ عبدٌ ومملوكٌ للهِ، وأنَّهُ عاملٌ في ملكِ اللهِ لا يستطيعُ أنْ يدبرَ امورَ نفسهِ الا باللهِ؛ لأنَّ ذلكَ حملٌ ثقيلٌ

(1) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق: 3/ 145، (رقم الحديث 2528).
(2) سورة يوسف (اية 53).
(3) سورة القيامة (اية 1-2).
(4) سورة الفجر (الآيات 27-30).
(5) سورة الرعد (اية 28).
(6) ينظر: محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، (ت 751ه)، الروح، دار الكتب العلمية بيروت، بلا سنة طبع، 220/1.

وعبءٌ كبيرٌ ولا يمكنهُ المحافظةَ عليهِ، ولا أنْ ينجوَ من البلايا والرزايا أو أنْ يوفرَ لنفسهِ لوازمَ الحياةِ، اذا علمَ ذلكَ والتجأَ الى القديرِ الحكيمِ فقدْ انقذَ نفسهُ من مخاوفِ الالامِ وأنجاها من احضانِ القلقِ والاضطراب، فيشعرُ بشعورِ السعادةِ التي ملأت قلبهُ لأنَّهُ يعتمدُ على قوةٍ خارجيةٍ، وهي التي خلقتْ القوانينَ، تلكَ القوةُ هي قوةُ اللهِ لا تخضعُ لقانونٍ، ولا يعجزُها مخلوقٌ ولا يفوتُها شيءٌ ولا يخفى عليها شيءٌ، تدبرُ لنا ونحنُ نائمونَ، ونحنُ غافلونَ كفانا اللهُ بِها ما كانَ، ويكفِيْنا ما يكونُ[1]، فإذا اصابَ المؤمنَ مكروهٌ، أو فاتهُ مرغوبٌ هدأتْ نفسهُ وسكنَ قلبهُ لأنَّهُ يعلمُ أنَّهُ وقعَ بقدرِ اللهِ، وهو لهُ خيرٌ. فإذا انصرفَ الانسانُ الى غيرِ اللهِ، وطلبَ السعادةَ بغيرِ طريقهِ كأن يظنُ أنَّها بالمالِ والنساءِ فقدْ سقطَ في مهالكِ الردى والشقاوةِ، ولفَ على عنقهِ سببَ الضنكِ والندامةِ وقدْ حدثَنا القرآنُ العظيمُ عن ذلكَ:" **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)** " [2]، ولنا في اوربا عبرةٌ فلقدْ اقبلواْ على الفوضى الجنسيةِ، وعلى جمعِ المالِ بكلِ طريقٍ خابتْ امالهُم وقطعتْ علاقاتُهم الاسريةِ وملئتْ حياتُهم بالقلقِ والامراضِ العصبيةِ والاقدامِ على الانتحارِ مع توفرِ ما يطلبونهُ من المتعِ الجنسيةِ وكثرةِ المالِ[3].

ويلاحظُ الباحثُ في خاتمةِ المطافِ امرينِ:

1- انَّ ذهابَ الايمانِ يحدثُ فراغاً نفسياً لا يملؤهُ الا الايمانُ.

2- أنَّ الوساوسَ التي تصيبُ بعضَ المسلمينَ لا تدفعُ بالتفكيرِ وإنما بمعرفةِ أنَّها لا تضرُ الايمانَ وبذكرِ اللهِ ثم بالأعراض عنها وأنَّهُ غيرُ محاسبٍ عليها ما دامَ أنَّهُ لمْ يرضَ بها، ليعودَ الى قافلةِ السعادةِ، وليحققَ الهدفَ المنشودَ في اصلاحِ نفسهِ ومجتمعهِ.

الخلاصة

بعدَ الدراسةِ والبحثِ توصلَ الباحثُ من خلالِ بحثهِ الموسومِ" مفهوم الايمانِ وأثرهُ في تقويمِ سلوكِ الانسانِ"، توصلَ الى عدةِ نتائجَ اهمُها ما يلي:

1-أنَّ الايمانَ في اللغةِ يعني التصديقَ والأمنَ والاطمئنانَ وعدمَ الخوفِ وكذلكَ يكونُ حالُ المؤمنِ.

2-أنَّ العقلَ والعلمَ يخدمانِ الايمانَ ويرسخانهِ ولا يتعارضانِ معهُ ابدً.

3-للعقلِ حدودٌ لا يتعداها فيبدعُ ضمنَ حدودهِ، اما خارجُها فلا يأتي الا بالشكوكِ والاوهامِ.

4-أنَّنا لمْ نكلفْ بمعرفةِ كيفيةِ الغيبِ بلْ امرنا بالإيمان بالغيبِ.

(1) ينظر: بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1379هـ)، حقيقة التوحيد، دار سوزلر للطباعة والنشر الطبعة الثانية (1988م): 142/1.

(2) سورة طه (اية 124).

(3)ينظر: د. غالب بن علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها، المكتبة العصرية الذهبية- جدة، الطبعة الاولى(1427هـ-2006م): 1127/2.

5-الابتعادُ عن التفكيرِ في الامورِ الغيبيةِ لأنَّ ذلكَ يضرُ الدينَ والعقلَ.

6-اولُ واجبٍ على الانسانِ هو الايمانُ بالوحيِ وما يترتبُ عليهِ ثم النظرُ في الادلةِ المشاهدةِ لزيادةِ الايمانِ لا لجلبِ الايمانِ لأنّهَ إذا بنى بحثهُ على الشكِ فإنهُ يخشى عليهِ أنْ لا يصلَ الى اليقينِ.

7-معرفةُ كيفيةِ الانتقالِ من الدليلِ الى نتيجةِ ما يدلُ عليهِ، لا أنْ نقضيَ حياتَنا معرضينَ عن الشرعِ بحجةِ البحثِ حتى يأتيَنا الموتُ ونحنُ على تلكَ الحالِ.

8-خلوُ النفسِ من الايمانِ يحدثُ فجوةً نفسيةً لا يملؤها الا الايمانُ.

9-المؤمنُ الذي حققَ الايمانَ بالتصديقِ والتوكلِ وحسنِ العملِ، يسعدُ فلا يشقى، ويسعدُ اسرتَهُ ويسعدُ بهِ مجتمعُهُ. تم بحمدِ اللهِ.

المصادر والمراجع

القران الكريم

1-الاسلام دين المدنية القادمة، مصطفى الرافعي، مكتبة المدرسة-بيروت-لبنان، (1410ه -1990م).

2-التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشرف الجرجاني، (ت 816هـ)، تحقيق عدد من العلماء بأشراف الناشر، دار الكب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الاولى، (1403هـ-1983م).

3-تفسير البغوي، ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي، الشافعي، (ت 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار احياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الاولى، (1420هـ).

4-تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، البصري ثم الدمشقي،(ت 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية: (1420ه-1999م).

5-تهذيب اللغة، محمد بن احمد بن الازهري، الهروي، ابو منصور، (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الاولى: (2001م).

6-جامع العلوم والحكم، زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، (ت 795ه)، تحقيق: محمد الاحمدي ابي النور، الطبعة الأولى: (1424هـ-2004م).

7-الحضارة الاسلامية، اسسها ووسائلها، وصور من تطبيقات المسلمين، ولمحات من تأثيرها في سائر الامم، عبد الرحمن بن الحسن حبنكة، الدمشقي، (ت 1425هـ)، دار القلم-دمشق، الطبعة الاولى: (1418هـ-1998م).

8-حقيقة التوحيد، بديع الزمان، سعيد النورسي، (ت 1379هـ)، دار سوزلر، الطبعة الثانية: (1988هـ).

9-الحكمة في الدعوة الى الله، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الاسلامية، والاوقاف والدعوة والارشاد، السعودية، الطبعة الاولى، (1423هـ).

10-دستور العلماء، القاضي: عبد النبي عبد الرسول الاحمد نكري، عرب عبارته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الاولى، (1421ه-2000م).

11-الروح، محمد بن ابي بكر، بن ايوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، (ت 751هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، بلا سنة طبع.

12-زاد المسير في علم التفسير، ابو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (597هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الاولى: (1422هـ).

13-الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ابو الفضل، عياض بن موسى بن عياض، اليحصبي المعروف بالقاضي عياض، (ت 544ه)، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث-القاهرة، (1425ه-2004م).

14-صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، (256ه) تحقيق: محمد زهير محمد الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الاولى: (1422هـ).
15-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسين، القشيري، النيسابوري، (ت 261ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي-بيروت، بلا سنة طبع.
16-القرآن المذهل، غاري مللر، ترجمة: اورخان محمد علي، دار الوفاء، الشارقة - الامارات العربية المتحدة، بلا ط ولا سنة طبع.
17-قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر، دار العربية – بيروت - لبنان، الطبعة الاولى: (1961م)، والثانية: (1963م)، والثالثة: (1969م).
18-كتاب الايمان، ومعالمه وسننه ودرجاته، ابو عبيد القاسم بن سلام بن عبيد الله الهروي، (ت 224ه)، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف، الطبعة الاولى: (1421ه-2000م).
19-لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين، علي بن محمد بن ابراهيم، بن عمر الشيحي، ابو الحسن، المعروف بالخازن، (ت 741ه)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الاولى، (1415ه).
20-لسان العرب، محمد بن مكرم، بن علي، ابو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الانصاري، الافريقي، (ت 711ه)، دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة: (1414ه).
21-المخصص، ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة المرسي، (ت 458ه)، تحقيق: خليل ابراهيم جفال، دار احياء التراث العربي_ بيروت، الطبعة الاولى: (1417ه- 1996م).
22-المنتقى شرح الموطأ، ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبي، القرطبي، الباجي الاندلسي، (ت 474ه)، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، الطبعة الاولى: (1332ه).
23-منهج الشيخ، محمد رشيد رضى في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، دار ماجد عسيري، الطبعة الاولى: (425هـ-2004م).
24-المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة الاولى: (1427ه-2006م).
25-موسوعة الخلق والنشوء، حاتم ناصر الشرباتي، الطبعة الثانية، مكتبة الايمان-المنصورة: (2006م).